• مفاهيم الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية في المؤلفات العربية و الأجنبية المعرّبة رؤية تحليلية مقارنة

Concepts of bilingualism and diglossia in the Arabic and arabized foreign works. Comparative and analytical overview

الدكتور: عبد الحميد بوفاس، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر
الدكتورة: فوزية سعيود ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر
البريد الإلكتروني a.boufes@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإرسال:2020./11/24 تاريخ النشر : 2020/12/29

ملخص البحث:
يعالج هذا المقال ظاهرتي الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية في المؤلفات العربية وكذا المؤلفات الأجنبية المعرّبة، مشيرا إلى المعايير المتخذة في تأسيس مفهوم الظاهرتين، وكذا كاشفا عن التداخل الموجود بين المصطلحين سواء عند الدارسين العرب أو الغربيين. كما استفاض البحث في استقصاء مفهوم الظاهرتين محللا أسباب التداخل في الاستعمال بينهما، مقدما بعض الاقتراحات للإشكالات التي طرحها البحث في ثناياه، من مثل : ما المقصود بالثنائية اللغوية وكذا الازدواجية اللغوية؟ متى نقول عن مجتمع أنه ثنائي اللغة أو مزدوج اللغة ؟ هل يصلح تبادل استعمال المفهومين ؟ وما تأثير ظاهرتي الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية على المجتمعات؟

الكلمات المفتاح : تعدد لغوي ؛ ثنائية لغوية ؛ ازدواجية لغوية ؛ لسان ؛ معايير .

Abstract

This article deals with two phenomena namely: bilingualism and diglossia in the Arabic and arabized foreign works, it points out the criteria adopted to establish the concept of the two phenomena, and reveals the overlap between the two terms as well, both among Arab or Western researchers. This research extensively explores the concept of the two phenomena by analyzing the causes of the overlapping in the use between them, and submits some suggestions for the problems raised in the research, such as: What is meant by bilingualism and diglossia? When is it said that a

community is bilingual or diglossic? The use of the two concepts is it exchangeable? What is the impact of bilingualism and diglossia on communities?

. **Key-words**: multilingualism; bilingualism; diglossia; language; criteria.

*** مقدمة**

من المصطلحات الرائجة في علم اللغة الاجتماعي واللسانيات الاجتماعية : الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، وهما نتاج رؤية جديدة قديمة للبحث اللغوي، إضافة إلى أنّ المجتمعات تعيش أحد مظهرين إما الازدواجية اللغوية أو الثنائية اللغوية . وكثيرا ما تطرح قضايا الازدواج والتعدد اللغوي في المجتمعات مشاكل جوهرية ذات صلة وثيقة بالهوية والحضارة والثقافة أو بالأحرى تقدّم الشعوب ورقيها، لأن السيادة اللغوية من سيادة الأمة .

غير أننا نلاحظ تداخلا كبيرا في ضبط مفهومي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية بين علماء اللغة وعلماء الاجتماع أو الأنثروبولوجيا، مما نجم عنه تكريس فكرة الصراع الخفي – صراع أيديولوجي – ضمن المباحث اللغوية .

وعلى هذا الأساس وجب النظر في مسألة الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية بحذر شديد، ذلك أنّ قضايا التعدد اللغوي بصفة عامة في اللغة العربية لم تكن شبيهة بما هو موجود في باقي اللغات كاللاتينية مثلا، ما يجعل الازدواجية اللغوية في اللغة العربية مثلا ازدواجية احتواء لا إقصاء .

وهذا ما يبرر تجديد البحث في مفهومي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، مع ضبط المعايير التي تسمح لنا بأن نقول: إنّ مجتمعا ما ازدواجي أو ثنائي اللغة، وهل يبقى تحديد مفهوم المصطلحين رهين خصوصيات الجماعة التي تتكلم بلغة معينة أم أنّ هناك معايير وضوابط إن لم تتوفر يسقط تصور الازدواج أو التعدد اللغوي .

- تمهيد :

يعدّ اللسان العربي من أهمّ الألسنة التي نالت حظا وافرا من الدراسة والتحليل، وإن دلّ ذلك فإنما يدل على غنى ذلك اللسان ودوره الحضاري والثقافي عبر العصور.

كما أنّ كثيرا من الحقائق التي توصّلت إليها اللسانيات الحديثة لا تبتعد كثيرا عمّا أقرّه اللغويون العرب القدماء، مما يجعل لمناهج القدماء أهمية لا تنكر في دراسة اللسان العربي وإن اختلفت آليات المعالجة.

إلا أنّ هذا الأمر لا ينبغي أن يجعل اللسان العربي في منأى عن الاستفادة من مختلف العلوم الحديثة، خاصة اللسانيات، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، وعلم الأنتروبولوجيا اللغوية، ممّا يمكّن من دراسة أعمق لخصوصيات اللسان العربي ويكشف أكثر عن وظائفه، ويفهم كيف تتشكّل الهويات الاجتماعية والإيديولوجيات والمعتقدات .

بل أعمق ممّا سبق ذكره، فإنّ اللسان مظهر من مظاهر التطور والتقدم، أو دليل على الانحطاط والتقهقر. ولعلّه يكون سبيلا إلى السيطرة والهيمنة التي تصل حدّ الاستعمار ؛ فهو استعمار لساني ثقافي يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف والتفرقة وإنهاك القوى، ومن ثمّ سهولة التبعية والتمسّك بجلباب الأمم المتحضّرة، وما على المغلوب إلا أن يتبع الغالب في مظهره ولباسه ومشربه ومأكله وعاداته وتقاليده، على حد رؤية العلّامة ابن خلدون.

ومن هنا أتت ضرورة البحث الموضوعي في مشاكل اللسان العربي باعتباره يمثّل حقيقة وجودنا، ولا يمكن لهذا الوجود أن يكون فاعلا وقادرا على التفاعل مع الواقع المعيش وفهم معطيات العصر الجديدة والصمود في تيارات العولمة، إلا من خلال إبراز عناصر القوة في ذلك اللسان وإيجاد حلّ علمي موضوعي لمختلف إشكالاته المطروحة، خاصة في ظلّ سيطرة ثقافة انهزامية في المجتمعات العربية.

ولعلّ من أهم القضايا التي ينبغي على اللسانيين واللغويين والمختصين دراستها بدقة وعمق كبيرين " الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية"، أوّلا :

بالضبط الدقيق للمصطلح في ظل تعدّد المفاهيم . ثانيا : فهم حقيقة الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، بمعنى آخر : هل هذه الظاهرة تماثل ما هو موجود في اللسان الأجنبي أم تخالفها؟ . ثالثا: البحث في السياسة اللغوية المنتهجة في دراسة تلك الظاهرة، وفق مناهج لا تهمل خصوصية المجتمعات الناطقة بتلك اللغة. رابعا : تقدير نتائج تلك المناهج والآليات على مدى بعيد، قصد النظر في الضرر والفائدة المحققين، من خلال معالجة تلك الظاهرة، بمعنى آخر : النظر في تأثير كلّ من الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في التعليم والتعلّم واكتساب المعارف خاصة لدى الأطفال، وأيضا التأثير في بنية المجتمع، في ظل تفاعلها مع المعطيات السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية.

أولا: تعريف الازدواجية اللغوية

ينبغي أن نشير منذ البداية إلى صعوبة الفصل بين مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ويمكن أن نجمل بعض أسباب ذلك، فيما يأتي :

1- اختلاف الباحثين العرب أو الغربيين في تعريفهم للمصطلحين السابقين، فأحيانا نجد مفهوم الثنائية اللغوية يأخذ مفهوم الازدواجية اللغوية، والعكس صحيح.

2- لا يوجد إجماع على مفهوم أو تصوّر واحد لفكرة الازدواج أو الثنائي في اللسان، فهناك من يرفض فكرة الازدواج على مستوى اللغة الواحدة، ويعتبرها في لسانين مختلفين، في حين هناك من ذهب إلى عكس ذلك، بمعنى أنّ الازدواج يكون على مستوى اللغة الواحدة، والاختلاف يكون في الدرجة، أي بين ما هو فصيح وعامي، أو ما هو رسمي وغير رسمي.

3- الاختلاف في أسباب وجود الازدواج أو الثنائية في اللسان، حيث كثيرا ما تقدّم تفسيرات مبطّنة بإيديولوجيات وحسابات سياسية، بعيدا عن الطرح العلمي الموضوعي.

4- الاختلاف في تقدير الضرر والنفع الناجمين عن وجود ظاهرة الازدواج والثنائية في اللسان، حيث بالغ بعضهم في تصوير الضرر، ممّا أدى إلى الإحجام عن دراسة تلك المشكلة اللسانية دراسة علمية تقدّم الحلول المناسبة والضرورية، في حين رأى بعضهم الآخر أنّ تلك المسألة من باب التنوع والثراء الثقافي للألسنة، ووجب قبولها وعدم رفضها في المجتمعات، وراح يدعو إليها ويعزّزها من خلال إنشاء أكاديميات تهتم بقضايا تطوير لغة معيّنة.

5- عدم اعتراف بعض الباحثين بخصوصية المجتمعات العربية، أو بالأحرى تقديم أحكام مسبقة وقبلية على اللسان العربي، أثناء تطبيق مناهج غربية تقرّها اللسانيات الحديثة، وذلك ما أدى إلى مزالق علمية كثيرة أثّرت على المدى القريب أو البعيد في هوية المجتمعات.

6- اختلاف المصطلح الأجنبي المقابل لمصطلحي ازدواجية لغوية وثنائية لغوية لدى الدارسين، ففي بعض المؤلفات نجد ازدواجية لغوية يقابها مصطلح digliossie أو diglossia، ومصطلح ثنائية لغوية يقابله bilinguisme، وأحيانا أخرى يقابل مصطلح ازدواجية لغوية (لسانية) bilinguisme، في حين مصطلح ثنائية لغوية (لسانية) يقابله digliossie أو diglossia .

7- اختلاف السلطة السياسية في التعامل مع قضايا السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي والأمن اللغوي، فقد تنتصر السلطة السياسية للغة أقلّية معيّنة، وتفرضها على الجماعة، أو العكس، وقد تنتصر للغة دون أخرى – خاصة في حالة التعدّد اللغوي- لأسباب تراها تخدمها في تنظيم علاقاتها بالدول الأخرى.

8- لا يمكن فصل مصطلحي " ازدواجية لغوية، ثنائية لغوية" عن مصطلحين أوسع مجالا، وهما : السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي. ومن دون شكّ، فإنّ هذين الأخيرين يعدّان مفهومين حديثين ولا يغطيان الممارسات اللغوية القديمة إلا جزئيا. [1]

9- تأخّر اهتمام اللسانيات بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع، ولعلّ المنهج المسيطر بفعل رؤية فردنان دي سوسر وأتباعه، من خلال دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، أدّى إلى تهميش البحث في تفاعلية تلك العلاقة، إذ لا يمكن أن نتصوّر لغة دون مجتمع، أو مجتمعا دون لغة.

1- الازدواجية اللغوية في الدراسات العربية :

1.1 كتاب حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون : اللسان العربي وإشكالية التلقي :

يذهب مؤلفو كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي إلى مقابلة مصطلح الازدواجية اللسانية بالمصطلح الأجنبي le bilinguisme،حيث عرفوها بقولهم : " إنّ الازدواجية في عرف اللسانيين هي التقاء لسانين مختلفين قد يكونان من أسرة لسانية واحدة، أو من أسرتين مختلفتين." [2]

ويضيف الدارسون أنّ تلك الازدواجية:[3]

- قد تكون ظاهرة فردية أو جماعية.

- الازدواجية السائدة في البلدان العربية هي ازدواجية جماعية مفروضة عليها فرضا، وهي تعود إلى أسباب تاريخية أو إن شئنا استعمارية.
- إن بدت في الظاهر شبيهة بأمر الثنائية، إلّا أنّها تختلف عنها اختلافا شديدا.
- أكثر ضررا من الثنائية اللغوية، وإن كانت هذه الأخيرة أيضا مضرّة.
- لا تحمل إلينا استعمالا لغويا فحسب، وإنما تحمل إلينا فكرا مغايرا وثقافة مختلفة ورؤية للكون والوجود والأشياء لا تتفق ورؤيتنا نحن.
- تولّد صراعا تختلف درجته بين الحدّة والخفوت، وذلك حسب طبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا حسب طبيعة العلاقة الكائنة بين الألسن المختلفة. كما أنّ ذلك الصراع يؤدّي إلى وجود غالب ومغلوب، ومن دون شكّ، إنّ الغالب يطمس كلّ مقومات المغلوب، وينجم عن ذلك اضمحلال لسان المغلوب، وربّما التلاشي والموت. بل أبعد من ذلك فقد ينجرّ عن ذلك الصراع تشكيل خرائط جغرافية وبشرية لم تكن موجودة من قبل.

1. 2 كتاب مدخل إلى علم اللغة لإبراهيم خليل:

يقابل الباحث إبراهيم خليل في مؤلفه مدخل إلى علم اللغة مصطلح الازدواجية اللغوية بالمصطلح الأجنبي diglossia، ويعرّفه بقوله : " ونعني بهذا التعبير وجود لغة للكلام اليومي أو local dialect اللهجة المحلّية، ولغة أخرى هي لغة الكتابة والمخاطبات الرسمية المدونة والمحاضرات والأحاديث والخطب الدينية، أي أنّ المتكلّم نفسه يتكلّم في حياته اليومية بلغة، ولكنه عندما يقوم بكتابة شيء ممّا يقوله يلجأ على اللغة الأخرى." [4]

1. 3 كتاب اللغة والتواصل التربوي، مقاربة نفسية وتربوية، تأليف مجموعة من الباحثين:

يشير مؤلفو الكتاب إلى قضية الازدواجية اللغوية أثناء حديثهم عن لغة الطفل العربي، لأنّ لها تأثيرا في اكتسابه اللغة العربية وتعليمه إيّاها.

فيرى الباحثون أنّ ظاهرة الازدواجية اللغوية digliossie " ليست خاصية تنفرد بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات ... ويقصد بها : تواجد نظامين/ نوعين لغويين مختلفين في مجتمع ما تجمع بينهما أواصر قربى وعلاقة نسب (كأن تكون من باب علاقة الأصل بالفرع)، وقد لا يكون شرط العلاقة شرطا لازما."[5]

ويمثّل النوع الأوّل الاستخدام السّامي- وفق معيار المراتبية-(الراقي/ الفصيح)، في حين يمثّل الثاني لهجة/لهجات محلّية تكون في مرتبة دونية (عاميّة، شعبية، هامشية).

وتحتلّ اللغة الأولى وفق معيار توزيع الأدوار مكانة رسمية إذ يجري تداولها في المدرسة والإدارة، في حين يكتفي مستخدمو النوع الثاني باستعماله في الحياة اليومية وفي غير ما هو رسمي.[6]

1. 4 كتاب علم اللسان العربي للدكتور عبد الكريم مجاهد :

يتبنى الباحث "عبد الكريم مجاهد " مفهوم "ديفيد كريستال" المأخوذ من معجم اللسانيات والصوتيات، حيث يذهب إلى أنّ الازدواجية " من مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تشير إلى استعمال لهجتين في المجتمع الواحد، ولكلّ منهما استعمالاتها الخاصة، وإذا كانت إحداهما تسمّى الفصحى فإنّ الثانية تسمى العامية، ويجري تعلّم الأولى في المدارس وتستخدم في الأغراض الدينية والبرامج الإذاعية والأدب الجادّ، وبالتالي فهي تحتل مكانة اجتماعية مرموقة، أمّا الأخرى العامية فتعتبر غير رسمية، لاستخدامها في الحديث العام اليومي." [7]

ويشير الباحث إلى أنّ أول من تكلّم عن ظاهرة الازدواجية هو اللغوي الألماني كارل كرمباخر، في حديثه عنها في اليونانية والعربية ونصحه اليونان والعرب بترك الفصيح في لغتيهما وتبني إحدى اللهجات بديلا من الفصيح فيها، وأول مصطلح نحت لها هو la diglossie على يد العالم الفرنسي وليم مارسيه، حيث عرّفه بقوله:" هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عاميّة شائعة للحديث." [8]

في حين يذهب الدكتور نهاد الموسى أنّ هذا الاصطلاح يستعمل للدلالة على تقابل شكلين أو مظهرين أو مستويين في إطار أيّ لغة، وفي إطار العربية بين العربية ولهجاتها، أو الفصحى وعامياتها.[9]

1. 5 .كتاب اللسان العربي وقضايا العصر لعمار ساسي :

يتفق الباحث "عمار ساسي" مع باحثي كتاب اللسان العربي وإشكالية التلقي الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت، لبنان .

ويقرّ الباحث منذ البداية بصعوبة تحديد دقيق للمصطلحين، وعلى الرغم من تقديمه بعض تعريفات الباحثين الغربيين إلّا أنه يقر بوجود خلط في ضبط المصطلحات .

ويخلص في النهاية إلى تحديد الفرق بين مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، قائلا : " والذي أرجحه في هذا المقام أنّ الثنائية ليست هي الازدواجية ... وأنّ الثانية- أي الازدواجية- لا تخص لغة ولهجتها إنما لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية في الجزائري مثلا..."[10]

ونتيجة التداخل بين المصطلحين يفضل الباحث عمار ساسي استعمال مصطلح الثنائية على الازدواجية، مقدما تبريرا لذلك، من خلال شرحه كلمتي زوج وثنائية. فيرى أن كلمة زوج تدلّ على كلّ ما يقترن بآخر مماثل له أو مضاد. أمّا الثنائية، فإن تقال باعتبار العدد أو باعتبار التكرير الموجود أو باعتبارهما معا. قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة، آ: 40]"

وقال أيضا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة، آ: 36]، والذي يهمّ في الظاهرة ليس العدد إنّما الاقتران والتداخل، وفي الاقتران والتداخل معنى العدد.[11]

إنّ الباحث عمار ساسي وإن أشار إلى قضية التداخل والاقتران، فإنه كان يهتم بما هو موجود من إشكال علاقة اللغة العربية الفصحى بالعامية، وهل الفصحى هي العربية .

لأنّ مصطلح التداخل في حقيقة الأمر لا يدل على التصور السابق فقط، وإنّما له استعمال آخر في علم الاجتماع اللغوي، وهنا وجب النظر في الجانب المفهومي في حقله المعرفي .

فلفظ التداخل interference " يدلّ على تحوير remaniement للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء، مثل مجموع النظام الفونولوجي وجزء كبير من الصرف والتراكيب وبعض مجالات المفردات(القرابة اللون الزمن ...)."[12]

إنّ الحديث عن مصطلح التداخل يقودنا إلى الحديث عن مصطلح آخر، وهو مزج اللغات أو التعاقب اللغوي أو ما يعرف بالتلصيق اللغوي . فعندما " يكون الفرد إزاء لغتين يستعملهما بالتناوب، فيحصل أن تتمازجا في خطابه وأن ينتج ملفوظات مزدوجة. ولا يتعلق الأمر ههنا بالتداخل، بل يمكننا القول بأنّ الأمر يتعلق بعملية تلصيق collage، وانتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى. وهو ما يدعى بمزج اللغات code mixing أو التعاقب اللغوي code switching، وهذا حسب حصول التغير اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو من جملة على أخرى."[13]

ولعلّنا نلاحظ الظاهرة اللغوية السابقة أثناء حديث شخص باللغة العربية ثم يمزج كلامه بمقاطع أو جمل من لغة أخرى كأن تكون الفرنسية أو الإنجليزية، وهذا ما يعرف بالتلصيق أو المزج او التعاقب اللغوي.

1. 6.السياسة اللغوية في البلاد العربية للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري

يعتمد الفاسي الفهري على ما استعمله عالم اللسانيات المجتمعية تشارلز فيرغسون ferguson من مصطلح diglossia، حيث يرى الفهري أنّ هذا المصطلح الأجنبي هو ما يقابل ازدواجية عندنا.

ويترجم كلام فرغسون ذاهبا إلى أنّ الازدواجية ما دلّ " على وضع يستعمل فيه نظامان تعبيريان متنوعان ومتميزان- ولو جزئيا(أو لهجتان)- للّسان نفسه." [14]

ويستدلّ على ما سبق بالوضع العربي، فإننا نجد من جهة، اللهجة العامية الشعبية المتداولة، أو الدارجة، لسان البيت والشارع (أو اللهجة السفلى كما ينعتها فيرغيسون)، ومن جهة ثانية، اللسان المقعّد المعيار الذي يدرّس به، ويستعمل في الإدارة (أو الصيغة العليا)، وهما تنوعان للّسان نفسه.[15]

1. 7 . كتاب الازدواجية اللغوية الأمّارة للأستاذ الدكتور محمود الذوادي :

يشير الباحث إلى مفهوم الازدواجية اللغوية في معرض حديثه عن الازدواجيتين اللغويتين بالمغرب العربي، حيث يقول :" وحيث إنّ الازدواجية اللغوية تعني معرفة الشخص أو المجتمع للغتين : اللغة الأم/ الوطنية ولغة ثانية..." [16]

2- الازدواجية اللغوية في المؤلفات المعرّبة :

إنّه من الضروري النظر في بعض المؤلفات الأجنبية التي ترجمت إلى العربية، لنقف على كيف تُرجم مصطلح الازدواجية وكذا الثنائية إلى اللغة العربية، لنعرف فيما بعد مدى المطابقة أو البون بين المصطلحات، و هل تمّ الحفاظ على تلك الترجمات، أم استحدثت ألفاظ أخرى ؟

وسنشير إلى كتابين، هما : علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي، واللغة واللغويات لجون لوينز .

2 . 1 كتاب علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن :

يشير المترجم إلى أن فرجسون اهتم بالازدواجية اللغوية الاجتماعية حينما تحدّث عن مفهوم الثنائية اللغويةdiglossie. كما أنّ ج. فيشمان j.fishman اعتبر الازدواجية الفردية من اختصاص علم النفس اللغوي . وعليه قام بتوسيع مفهوم الثنائية اللغوية من حيث هي ظاهرة اجتماعية، يمكن أن تكون بين أكثر من نظامين وأنّ هذه الأنظمة codes ليست بحاجة إلى أن تكون ذات أصل مشترك أو علاقة قرابة .[17]

ويضرب مثالا يوضح به الفكرة السابقة، حيث يقول : " ومعنى هذا أنّ أي وضع استعماري مثلا، الذي تتعايش فيه لغة أوروبية ولغة إفريقية، هو من قبيل الثنائية." [18]

2-2 كتاب اللغة واللغويات لجون لوينز ترجمة محمد العناني

ورد الحديث عن الازدواجية في المؤلف السابق الذكر أثناء حديث المؤلف عن الفرق بين اللغات الفصيحة واللهجات العامية، حيث يقول : " إن الفرق بين الفصيح والعامي، في كثير من المجتمعات، قد أصبح فارقا بيّنا واضحا بحيث إنّ التفريق بينهما من الناحية الوظيفية، سواء أكانت هذه لهجات للغة واحدة أم غير ذلك، أصبح يعرف في الكتب اللغوية الاجتماعية باسم diglossia أو الازدواج اللغوي للغة الواحدة كظاهرة من ظواهر ثنائية اللغة." [19]

ثانيا: مصطلح الثنائية اللغوية

1- الدراسات العربية :

1-1 كتاب حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون : اللسان العربي وإشكالية التلقي

يطلق مؤلفو الكتاب على مصطلح الثنائية اللسانية la diglossie، وهي ما يعبّر عنها بالالتقاء الحاصل بين اللسان العربي الفصيح واللهجة أو اللهجات الدارجة. كما أنها تفرض نفسها على الواقع العربي بمختلف مقوماته، ذلك منذ فترات تاريخية طويلة. [20]

2 .1.كتاب مدخل إلى علم اللغة لإبراهيم خليل:

يقول إبراهيم خليل : " ثمة فرق بين الازدواجية اللغوية والثنائية bilingualism ... أمّا ثنائية اللغة أو الثنائية اللغوية فتعني وجود لغتين متنافستين في الاستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي مثلما نلاحظ في الجزائر حيث العربية لغة مشتركة والفرنسية كذلك، وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية، وهذا شيء ينسحب على أهالي كندا وقبرص واللوكسمبورغ ففيها لغتان تتنافسان، هما: الفرنسية والألمانية، وتتمتعان بالدرجة نفسها من القيمة، لكن إذا

دققنا في الأمر وجدنا الألمانية لا تستخدم في مجلس النواب، وإنما التي تستخدم فيه هي الفرنسية. وفي الميدان التجاري والاقتصادي نجد الغلبة للألمانية..."[21]

1. 3 -كتاب اللغة والتواصل التربوي، مقاربة نفسية وتربوية، تأليف مجموعة من الباحثين:

يستعمل مؤلفو الكتاب المصطلح الأجنبي bilinguisme مقابل مصطلح ثنائية لغوية، وهو يشير في الأدبيات اللسانية – حسب تعريف غاليسون Gualisson –إلى " وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما- بحسب ما تحملهم إلى ذلك المقامات التواصلية وحاجياتها وغاياتها المتفاوتة- على نظامين لغويين مختلفين وربما أكثر لنتحدّث عندها عن تعدد لغوي ."[22]

وترد الثنائية اللغوية وفق التعريف السابق مقابل الأحادية اللغوية، التي يغيب فيها عن الخطاب المتداول أيّ مؤشّر على حضور مستوى من مستويات لغة أجنبية غير اللغة الرسمية لمتكلم ما.[23]

1. 4 -كتاب علم اللسان العربي للدكتور عبد الكريم مجاهد :

يفاضل الباحث بين مصطلحي الازدواجية والثنائية، إذ يقول:" ولا يفوتني أن أذكر أنّ اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية من الثنائية من الناحية اللغوية، فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج والتزويج والزواج بمعنى الاقتران، وفي المعجم الوسيط : مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات، والاقتران يقتضي إطارا مكانيا و زمانيا موحَّدا وهذا ينطبق بوضوح على اقتران الفصحى وهي لغة الكتابة وعاميتها على ساحة الوطن العربي، وهي لغة الخطاب الشفاهي في مرحلة معينة من الزمان ." [24]

ويضيف الباحث، قائلا : " وتبقى الثنائية bilingualism مصطلحا دالا على الإجادة التامة للغتين ." [25]

1. 5 كتاب اللسان العربي وقضايا العصر لعمار ساسي :

يقول الباحث :" والذي أرجحه في هذا المقام أنّ الثنائية ليست هي الازدواجية إذ الأولى هي الوضعية اللغوية التي يحصل فيها الكلام عن موضوع ما حسب المقام بتناوب بين لغة ولهجتها وهي التي يقابلها مصطلح diglossie بالفرنسية."[26]

6 . 1 كتاب : السياسة اللغوية في البلاد العربية للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري

ينقل الفهري رأي فرجسون في نظرته للثنائية اللغوية، حيث يرى أنّ هذا الأخير " يشدّد على خاصية أولى للازدواجية تتجلى في اختلافها عن ثنائية اللغة المعيار- اللهجة المتداولة. ففي الوضع الثنائي، يوجد متكلمون بالتنويعة المعيار، بينما لا يوجد متكلمون بالتنويعة العليا في الوضع الازدواجي ." [27]

2- المؤلفات المعرّبة :

1 .2.السياسة اللغوية للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن:

يشير المترجم الى أنّ النصوص الأولى حول التخطيط اللغوي عنيت أساسا بالنشاط والعمل على اللغة ومن ثمّ لم تهتم بالأوضاع المتعددة اللغات plurilingues، علما بأنها هي الغالبة في العالم .

وبناء على ما سبق يذكر المترجم بعض المحاولات في ذلك المضمار مما ظهر في الستينيات، حيث يقول :" وأول هذه المحاولات هي دون شك مقالة شارل فرجسون حول الثنائية اللغوية diglossie . وقد اقترح فيها صاحبها نموذجا للأوضاع التي يتعايش فيها تنوعان من اللغة نفسها (وقد أورد أربعة أمثلة عنها : العربية الكلاسيكية/ العربية الدارجة، الألمانية المشتركة/ السويسرية الألمانية، الكتاريسوفة/ الديموتيكي، الفرنسية/ الكريولية الهايتية."[28]

و التنوعات السابقة تستعمل في مقامات معينة، نجملها – حسب تصوّر فرجسون- فيما يأتي : [29]

- التنوع الرفيع، ويستعمل في الخطابات السياسية والخطب الدينية ووسائل الإعلام وغيرها.

- التنوع الوضيع : ويستعمل في الأحاديث العائلية والحياة اليومية والأدب الشعبي، وغير ذلك.

واللافت للنظر هو أنّ الباحث فيشمان وسّع النموذج السابق متخليا عن فكرة العلاقة السلالية بين التنوعين السابقين (الرفيع والوضيع)، " إذ يعتقد أنّ هناك ثنائية لغوية كلّما ظهر توزيع وظيفي للاستعمالات بين لغتين أو شكلين من اللغة نفسها، سواء بين العربية الكلاسيكية والعربية الدارجة أو بين لغة أوروبية ولغة أو لغات إفريقية متعددة."[30]

لقد كانت "لفرجسون" رؤية ثابتة للثنائية اللغوية، باعتبارها توزيعا وظيفيا متناغما للاستعمالات، غير أنّ هذه النظرة كانت محل نقد من طرف اللسانيين السليقيين، أي المنبثقين عن أوضاع الثنائية اللغوية، خاصة روبير لافون r.laffont و لامبير فليكس برودان lambert felix prudent ولويس أراشيل l.aracil، إذ يرون " أنّ الثنائية ليست تعايشا متناغما بين تنوعين لغويين ولكنها وضع صراعي بين لغة مهيمنة ولغة مهيمن عليها...هذا الصراع لا يمكنه إلا أن يفضي لحالتين: إمّا أن تزول اللغة المهيمن عليها لصالح اللغة المهيمنة(وهذا ما يسمى الاستبدال) أو تستعيذ وظائفها وحقوقها، وهذا ما يدعوه (التقييس normalisation)."[31]

2-2- علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ترجمة محمد يحياتن:

يشير المترجم إلى أن فرجسون طرح مفهوم الثنائية la diglossie في مقال له سنة 1959 م، "ويعني به تعايش شكلين لغويين في صلب جماعة واحدة." [32]

ومما أضافه المترجم حول التوزيع الوظيفي للاستعمالات اللغوية (التنوع الرفيع، التنوع الوضيع) أنّ :[33]

- التنوع الرفيع يحظى بالصيت الاجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو خلو منه.
- التنوع الرفيع يستخدم لإنتاج أدب معترف به.
- التنوع الوضيع يكتسب بطريقة طبيعية (هو اللغة الأولى للناطقين) في حين أنّ التنوع الرفيع يكتسب في المدرسة.

- التنوع الرفيع مقعّد أيّما تقعيد (نحو، قواميس،...).
- أوضاع الثنائية اللغوية قارة، ويمكن أن تعمّر قرونا.
- هاذين التنوعين للغة نفسها، مرتبطان بعلاقة قرابة، لهما نحو ومعجم وأصوات متباينة نسبيا.

2. 3 اللغة واللغويات لجون لوينز ترجمة محمد العناني:

يشير المؤلف في معرض حديثه عن ثنائية اللغة، أنه "يوجد في بعض البلدان أكثر من لغة رسمية(لغتان أو أكثر) بمعنى أنّ تلك البلدان تستعمل لغتين أو أكثر كلغات رسمية، سواء أكانت هذه اللغات لغات قومية أم إقليمية."[34]

وينبّه على جملة من القضايا المهمّة، نجملها فيما يأتي : [35]

1- وجود بلدان غير ثنائية اللغة أو غير متعددة اللغات إلا أنها تستخدم لغتين مختلفتين أو أكثر من اللغات المنطوقة ضمن حدودها.
2- لا ينبغي أن نفهم مما قيل أنّ البلدان التي يوجد بها لغتان رسميتان أو أكثر يفترض أنّ جميع مواطنيها يستعملون أو يعرفون أكثر من لغة واحدة.
3- وعليه فإن مفهوم ثنائية اللغة أو تعدد اللغات ينظر إليه كظاهرة موجودة في البلد الواحد سواء أكانت تلك اللغات رسمية أم خلاف ذلك.
4- لا ينبغي أن نصف مجتمعا ما أنه ثنائي اللغة إلّا إذا كان عدد كاف من أفراده هم فعلا ثنائيو اللغة.
5- إن المقصود بقولنا " فلان ثنائي اللغة، من وجهة نظرية بحتة، احتمال وجود ظاهرة ثنائية اللغة المثالية، بمعنى أنها تلك الظاهرة التي تدل على الإجادة التامة للغتين لا تجتمع إلا لناطق بلغة واحدة فقط.
6- إنّ ثنائية اللغة، إن وجدت، فهي تعتبر ظاهرة نادرة جدا، وذلك لندرة المناسبات المتاحة أمام الأفراد لاستخدام كلّ لغة في نطاق كامل، ومنه تقل إمكانية الوصول إلى الكفاءة المطلقة في كلتا اللغتين.
7- إنّ الفكرة السابقة لا تبعد من التصوّر بلوغ أناس درجة قريبة من ثنائية اللغة المثالية، عندما يكونون على قدر كبير من المعرفة بكلتا اللغتين ضمن نطاق واسع من المواقف.

ثالثا: نتائج الدراسة

من خلال التعريفات السابقة، يمكن أن نلاحظ ونستنتج ما يأتي :

1- الاختلاف في تعريف الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية عند الباحثين العرب وكذا الغربيين.
2- اختلاف ترجمة المصطلحين على الرغم من الاتفاق أحيانا في التعريف.
3- الاختلاف في إطلاق المصطلح الأجنبي على الظاهرة اللغوية نفسها لدى الغربيين أنفسهم.
4- عدم إنكار ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في المجتمعات.
5- إن المصطلح الأجنبي المقابل للازدواجية اللغوية ويعدّ أكثر استعمالا هو diglossie .
6- قلّة استعمال المصطلح الأجنبي bilinguism مقابل الازدواجية اللغوية.
7- قلة استعمال المصطلح الأجنبي diglossie مقابل الثنائية اللغوية.
8- معظم الدارسين الغربيين يميل إلى استعمال مصطلح diglossie للدلالة على الثنائية اللغوية.
9- موافقة بعض الباحثين العرب الغربيين في استعمال المصطلح الأجنبي نفسه، وتبني المفهوم نفسه أيضا(ازدواجية لغوية bilinguism، ثنائية لغوية diglossie).
10- اختلاف معظم الدارسين العرب مع الغربيين في تبني المصطلح الأجنبي لظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، حيث فضّل الدارسون العرب مصطلح diglossie مقابل ازدواجية لغوية، ومصطلح bilinguism مقابل ثنائية لغوية.
11- اتفاق جميع الدارسين على أنّ ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية هما ظاهرتان طبيعيتان تعرفهما كلّ اللغات .
12- تتباين درجة انتشار ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في المجتمعات، حسب وعي هذه الأخيرة للقضايا اللغوية فيها، وسياساتها اتجاهها ؛ حيث تنتشر الظاهرتان بحدة في المجتمعات التي تكثر فيها الإثنيات وتضعف فيها السياسة اللغوية، وذلك ما يؤدي إلى اتساع البون بين اللغة المعتمدة رسميا أو وطنيا أو إقليميا واللهجات المنتشرة في ذلك المجتمع. كما أنّ طبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تكون وراء انتشار لغة ثانية أو ثالثة في مجتمع ما، مع ترسيم لهما أو استعمال دون ترسيم.

13- تتعدد أشكال الثنائية اللغوية حسب مستعمليها، فقد تكون فردية، وقد تكون جماعية (دون ترسيم)، وقد تكون جماعية (مع الترسيم)، وهنا يمكن أن ندرجها ضمن الثنائية اللغوية الحكومية.

14- إنّ الحديث عن أسباب وجود ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية وإن كان من باب الظاهرات الطبيعية في اللغات، تنشأ بفعل: الاحتكاك اللغوي، تعدد تركيبة طبقات المجتمع، تنوع وظائف أفراد المجتمع، السياسة اللغوية لبلد ما، الهجرة، درجة اهتمام الأفراد بلغتهم ومدى وعيهم بقضاياها، فإنه لا يمكن أن نهمل الاستعمار الذي كان سببا رئيسا في زيادة حدّة انتشار ظاهرات الازدواج والثنائية والتعدد اللغوي، لأن الاستعمار اللغوي والثقافي هو أخطر من الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي، وكثيرا ما تغفل الدراسات الغربية الإشارة إلى هذا العامل.

15- إنّ ما يؤكّد خطورة عامل الاستعمار، ما نعيشه من حملات شرسة على رموز مقومات هويّة الشعوب العربية، ومما يدل على نفاذ الاستعمار اللغوي الثقافي " آثار الفرق الاستعماري اللغوي الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين أثناء الاحتلال الفرنسي والإنجليزي وبعد استقلال الشعوب العربية، فكان أن أمّن الاستعمار الفرنسي بحنكة واستراتيجية المحافظة على حضوره وتأثيره بعد رحيله المادي من البلدان التي احتلّها عبر ما يسمى بالقوة النّاعمة أي اللغة والثقافة . ويمثّل الحضور البارز، في فترة ما بعد الاستقلال، لظاهرة الكتّاب المغاربيين الفرنكفونيين، وشبه غياب ظاهرة الكتّاب الانجلوفونيين بمجتمعات المشرق العربي، دليلا واضحا على آثار الاستعمار اللغوي الثقافي في جناحي الوطن العربي."[36]

16- إنّ اعتبار ما تركه الاستعمار غنيمة حرب، كما ذهب إليه كاتب ياسين الذي استعمل عبارة " اللغة الفرنسية غنيمة حرب"، وجب الاحتفاظ والتمسك به، أمر فيه كثير من التضليل، وذلك ما حمل لواءه كثير من المثقفين والمتعلّمين الفرنكفونيين في المجتمعات المغاربية.

ذلك أنه كما صرّح كولماس في كتابه اللغة والاقتصاد أنّ للثنائية اللغوية ثمنا باهظا [37]، ولا يقف ذلك الثمن عند حدود صرف الأموال جرّاء التعليم او الترجمة أو إصدار كتب أو سندات وغيرها مما يتطلبه تبني لغة ثانية، وإنما ينضاف إلى ذلك الثمن ما هو أكثر ضررا، وما هو رمزي يتعلق بهوية الشعوب وثقافاتها.

وقد صدقت العرب في استعمال مقولة " الغُنم غُرم" كما جاء في لسان العرب، ولعلّ هذه المقولة تصب في إطار ما ذكره كولماس " للثنائية ثمن باهظ".

17- إنّ البحث في ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إذا أردنا أن نأخذ بمفهومه وما يقابله من مصطلح أجنبي حسب ما جاء في دراسات الغربيين، يجعلنا نستحضر أسباب نشأة تلك الدراسات، حتى نكون على بيّنة من أمرنا، وننظر في حالنا لنقف على حقيقة ما قدّمنا .

ولذلك فالمتأمّل في سبب قيام فرجسون بدراساته حول الثنائية اللغوية diglossie يجدها حسب تصريحاته تتعلق بتقدير الأوضاع الموسومة بالتعدّد اللغوي ومقارنتها بعضها ببعض قصد الوصول إلى نظرية تفسّر وتتحكّم في التعدد اللغوي داخل المجتمعات، حيث كتب يقول:" لقد كانت الأهداف ذات ترتيب متدرّج : أوضاع واضحة، تصنيف، مبادئ، نظرية."[38]

18- إنّ دراسة مصطلحي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية أفرز منظومة مصطلحية وجب ضبطها والبحث فيها، والإكثار من المؤلفات فيها، لأنّ وجود مصطلحات قارّة لظاهرة معيّنة ما كفيل بأن يسهم بمرور الوقت في تأسيس نظرية علمية لتلك الظاهرة.

ومن المصطلحات التي أمكن استنباطها من خلال التعريفات المقدّمة في هذا البحث :

الفصحى، العامية، اللغة، اللهجة، اللسان، اللغة الأم، اللغة الأولى، اللغة الثانية، لغة (الكتابة، الخطابات الدينية، المواقف الرسمية، الأدب الشعبي، الحميمة، الشارع) ،شكل لغوي، نظام لغوي، اللغة الرسمية، اللغة الوطنية، اللغة الإقليمية، الازدواجية الفردية، الازدواجية الاجتماعية، الازدواجية الحكومية، الازدواجية القويّة، الازدواجية الضعيفة، الاستعمال الرفيع، التنوع الأعلى، التنوّع المعيار أو المقعّد، الاستعمال المتوسط، الاستعمال الوضيع، مزج اللغات، تعاقب اللغات، التلصيق اللغوي، الصراع اللغوي، الهيمنة اللغوية، الأمن اللغوي، السياسة اللغوية، التخطيط اللغوي.

فالبحث في المصطلحات السابقة من خلال ربطها بكل مجتمع، وبعدها تأتي مرحلة المقارنة الداخلية ثم الخارجية، يمكّننا مع مرور الوقت والتراكم المعرفي من تأسيس نظرية حول التنوّع أو التعدّد اللغوي، تكون قادرة على تفسير التباينات الموجودة في لغات البشر اعتمادا على علوم أخرى، أهمّها : علم الاجتماع، علم النفس، علم الطب والتشريح، علوم التربية، وعلم الأنتروبولوجيا، وعلم التاريخ.

19-لعلّ ما هو جوهري في هذا البحث، هو طرح التساؤل الآتي : أيّ مصطلح أجنبي نتبنى في التعبير عن ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ؟ وأيّ مفهوم نتخذه لكلتا الظاهرتين في ظل تداخل وتعاكس التصوّر للمصطلحين السابقين؟

إنّ الاقتراح المقدّم لن يعتمد على كثرة الدراسات التي تباينت في تقديم تعريف للمصطلح أو تبني مقابل له في اللغة الأجنبية، وإنما اعتمادنا على جملة من المسائل العلمية التي تدافع عن تبني مصطلح دون آخر.

وعليه فإنّ اقتراحنا هو استعمال مصطلح ثنائية لغوية الذي يقابله بالأجنبية diglossie للتعبير عن دراسة العلاقة الموجودة بين مستويين لغويين (فصيح، عال، معيار، مقعّد/ عاميّ،لهجة، وضيع) داخل المجتمع الواحد، إضافة إلى دراسة العلاقة بين شكلين لغويين مختلفين لا تحكمهما علاقة الأعلى والأدنى، بمعنى متساويين وبالتدقيق فصيحين (بصفة رسمية أم غير رسمية) داخل المجتمع الواحد أو بين مجتمعين يتكلمان لغتين مختلفتين.

ولعلّ الدارس يلاحظ أنّ مصطلح ثنائية لغوية قد عبّر عن ما ورد في باب الازدواجية اللغوية، وعليه يصير مصطلح ثنائية لغوية شاملا جامعا . وقد يقود هذا الطرح إلى الاستفسار عن دور مصطلح ازدواجية لغوية، فنقول : بما أنّ المصطلح الأوّل قد عبّر عن كلا المفهومين دون أي لبس، فيمكن الاكتفاء به فقط. كما يمكن أن نستعمل مصطلح ازدواجية لغوية للتعبير فقط عن العلاقة الموجودة بين مستويين لغويين مختلفين داخل المجتمع الواحد؛ فيصير بذلك المصطلح مستعملا دون إقصاء، ودالا على ظاهرة ضمن الثنائية اللغوية.

ويمكن للدارس أن يطرح تساؤلا لماذا لم يكن الأمر خلاف ذلك ؟ للإجابة عن هذا التساؤل المشروع، نقول : سبق وأن أشرنا إلى أننا سوف نحتكم لما هو علمي موضوعي، وهو ما نجمله فيما يأتي :

- إنّ كلا مصطلحي ثنائية وازدواجية في اللغة العربية يدلّ على العدد اثنين .
- إن كلا المصطلحين يحمل في مدلوله اللغوي خصوصية التماثل والاختلاف في العناصر المنضوية ضمنه، فمزدوج الصفة يكون فيه الاقتران بين متماثلين أو متضادين، والأمر نفسه بالنسبة لمصطلح ثنائي.
- المصطلح الأجنبي diglossia " يتركّب من سابقة يونانية هي di والتي تعني مثنى أو ثنائي أو مضاعف، وgloss التي تعني لغة، ولاحقة ia هي للحالة، وحاصل الترجمة : حالة لغة مثناة او مضاعفة. وهذا يعني الثنائية اللغوية. ومصطلح bilingualism يتركب من سابقة لاتينية هي bi وتعني مثنى أو مضاعف، وlingual وتعني لغوي، ولاحقة ism الدالة على السلوك المميّز أو الحالة .وحاصل الترجمة سلوك لغوي مثنى أو مضاعف، وهذا يعني الثنائية اللغوية." [39]

وبناء على ما سبق فإنّ مصطلح ثنائية يشمل كلتا الظاهرتين – كما ذكنا آنفا- وعليه فلم اللجوء إلى مصطلح آخر، إذ إن اللجوء إلى مصطلح آخر حينما لا يعبّر المصطلح الأوّل عن المفهوم بدقة فيعوض بآخر أكثر دقة وأكثر وضوحا. ولكن هنا لدينا اتساع -نسبيا – في دلالة ثنائية فلا حرج في استعمال مصطلحات أخرى للتعبير عن بعض الدلالات الجزئية، من ذلك ازدواجية للتعبير عن شق من تلك العلاقات الكائنة في الثنائية، وذلك فيما يكون من باب مستوى أعلى وآخر أدنى في اللغة نفسها .

واعتمادا أيضا على ما ذكر في ثنايا هذا البحث من ضرورة النظر في الدراسات التي كان لها السبق في ذلك، منها دراسة فرجسون- من أولى المحاولات في دراسة حالات التعدد اللغوي- الذي استعمل مصطلح diglossie للتعبير عن حالة وضعين مختلفين للغة واحدة، أو شكلين لغويين قد لا تربطهما علاقة، ثم تطوير تلك الدراسة على يد فيشمان الذي تخلى عن فكرة السلالة بين اللغات ووسّع مجال الدراسة لتشمل لغتين مختلفتين في بلد واحد أو بلدين أو عدّة بلدان، مع الإبقاء على المصطلح نفسه diglossia والذي ترجمه محمد

يحياتن بالثنائية . أضف إلى ذلك فكرة جون لوينز في كتابه اللغة واللغويات إذ عبّر عن مفهوم الثنائية بدراسة شكلين للغة واحدة أو لغتين مختلفتين، معتبرا الازدواجية ظاهرة ضمن الثنائية اللغوية.

- **خاتمة:**

من خلال هذا البحث وبالنظر في حال اللغة العربية في العالم العربي، فإننا نلاحظ غياب تلك الرؤية المنهجية في معالجة ظاهرتي الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، بدليل عدم وجود دراسات عميقة وكافية تبحث في خصوصية اللغة العربية المستعملة حاليا، وفي أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، ومقارنتها باللغة العربية التي استعملها أجدادنا.

أضف إلى ذلك غياب شبه كلّي على مستوى الوطن العربي البحث في خصوصيات اللغة العربية المستعملة بين بعض البلدان العربية، إضافة إلى غياب شبه كلي أيضا للدراسات المتعلّقة باللهجات المستعملة من طرف أفراد كلّ مجتمع، من خلال البحث في خصوصيات تلك اللهجات ومقارنتها باللغة الرسمية أو الوطنية أو الإقليمية، وكذا تقديم دراسات إحصائية حول مستعملي لهجة دون أخرى والمجالات المستعملة فيها، والفوائد التي تحقّقها على جميع الأصعدة وكذا الأضرار الناجمة عن التفكير في محاولة اتخاذها لغة رسمية أم وطنية أم إقليمية، على المدى البعيد.

لأنه من خلال النقطة السابقة يتم الحديث عن قضية ترسيم أو دسترة لهجة أو إعادة إحياء لغة، وليس العكس، نُقبل على سنّ قوانين تحمي لغة معينة أو لهجة أقليّة، ونحن لم ندرس أصلا تلك اللهجة .

الإحالات والهوامش

1- لويس جان كالفي : السياسات اللغوية، ترجمة : محمد يحياتن، منشورات دار الاختلاف،ط(01)، الجزائر، 2009 ، ص/07 .

2- حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون : اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط(2) ، بيروت ، لبنان ،2011 م ، ص/69.

[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] - إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط(1)، عمان، الأردن، 2010 م، ص/71.
[5] - مجموعة من الباحثين : اللغة والتواصل التربوي والثقافي، ط(1)، الرباط، المغرب، 2008م ، ص/111.
[6] - المرجع نفسه، ص/111.
[7] - عبد الكريم مجاهد : علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر ، عمان، 2004م ، ص/195.
[8] - المرجع نفسه، ص/195، 196.
[9] - المرجع نفسه ، ص/196.
[10] - عمار ساسي : اللسان العربي وقضايا العصر،عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2009م ، ص/104.
[11] - المرجع نفسه ، ص/104، 105.
[12] - لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة،للنشر،الجزائر، 2006م ، ص/27..
[13] - المرجع نفسه ، ص/32.
[14] - عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ، ط(1)، لبنان 2013 م، ص/19.
[15] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[16] - محمود الذوادي : الازدواجية اللغوية الأمّارة، منشورات تبر الزّمان ، تونس ، 2013م، ص/92.
[17] - لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد يحياتن، ص/46.
[18] - المرجع نفسه، ص/47.
[19] - جون لوينز : اللغة واللغويات، تر: محمد العناني، دار جرير للنشر والتوزيع، ط(1)، عمان، الأردن، 2009م ص/258.
[20] - حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون: اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص/66.
[21] - إبراهيم خليل : مدخل إلى علم اللغة، ص/75،76.
[22] - مجموعة من الباحثين: اللغة والتواصل التربوي ، ص/113.
[23]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[24] - عبد الكريم مجاهد : علم اللسان العربي ، ص/198.
[25] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[26] - عمار ساسي : اللسان العربي وقضايا العصر، ص/104.
[27] - عبد القادر الفاسي الفهري : السياسة اللغوية في البلاد العربية ، ص/20.

[28] - لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، تر: محمد يحياتن ، ص/31 ، 32.
[29] - المرجع نفسه، ص/32.
[30] - لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، تر: محمد يحياتن، ص/32.
[31] - المرجع نفسه، ص/26.
[32] - لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي ، تر: محمد يحياتن ، ص/46.
[33] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[34] - جون لوينز : اللغة واللغويات ، تر: محمد العناني ، ص/260.
[35] - المرجع نفسه، ص/261.
[36] -محمود الذوادي : الازدواجية اللغوية الأمّارة ، ص/137.
[37] - مجموعة من المؤلفين : اللغة والتواصل التربوي والثقافي ، ص/115
[38] - لويس جان كالفي : السياسات اللغوية ، تر : محمد يحياتن، ص/33.
[39] - محمود إبراهيم الكايد : العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3، العدد الأول ، ذو الحجة 1422 هـ ، 2002م ، ص/55.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : الكتب

1- إبراهيم خليل: مدخل إلى علم اللغة ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط(1)، عمان، الأردن، 2010 م.
2- جون لوينز : اللغة واللغويات، تر: محمد العناني، دار جرير للنشر والتوزيع، ط(1)، عمان، الأردن، 2009م .
3- حافيظ إسماعيلي علوي وآخرون : اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط(2) ، بيروت ، لبنان ،2011 م .
4- عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ، ط(1)، لبنان 2013 م.
5- عبد الكريم مجاهد : علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر ، عمان، 2004م .
6- عمار ساسي : اللسان العربي وقضايا العصر،عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2009م .
7- لويس جان كالفي : السياسات اللغوية، ترجمة : محمد يحياتن، منشورات دار الاختلاف،ط(01)، الجزائر، 2009 .
8- لويس جان كالفي: علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة،للنشر،الجزائر، 2006م .

9- مجموعة من الباحثين : اللغة والتواصل التربوي والثقافي، ط(1)، الرباط، المغرب، 2008م .
10- محمود الذوادي : الازدواجية اللغوية الأمّارة، منشورات تبر الزّمان ، تونس ، 2013م.

ثانيا: المجلات

-محمود إبراهيم الكايد : العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3، العدد الأول ، ذو الحجة 1422 هـ ، 2002م .